



P-ISSN : [2722-2675](https://doi.org/10.24054/2722-2675), E-ISSN : [2722-3434](https://doi.org/10.24054/2722-3434)

Available online: <https://jurnal.stain-madina.ac.id/index.php/ej>

مكانة اللغة العربية والحالة الثقافية وبروز الأدب العربي في دولة تشاد

Ibrahim Kamsoulum Mahamat

Department of Arabic Learning and Teaching, University of Maroua, Cameroon

E-mail: ibrahimkamsouloummahamat@gmail.com

مستخلص البحث: تكمن أهمية البحث في تحقيق غرضين أساسيين. الأول يتمثل في مكانة اللغة العربية والثقافة الإسلامية في المنطقة. والثاني يدور حول بروز الأدب العربي التشادي وأثره في نشر الثقافة العربية الإسلامية المتمثلة في وجود الممالك الإسلامية في تشاد. وتهدف الورقة إلى إظهار الدور الذي قام به الأدباء التشاديون والعلماء التقليديون الذين بذلوا جهدا كبيرا في نشر الثقافة العربية والإسلامية عن طريق تلك المنظومات التي ألفوها والأشعار التعليمية التي تعد نقطة بداية لنشر العلوم حول منطقة حوض بحيرة تشاد. واتبع الباحث المنهج التحليلي الوصفي في دراسته لهذا الموضوع، وأخيرا تركزت الدراسة. في تناولها للمحاور الرئيسية الآتية: الحالة الثقافية الإسلامية ومظاهرها واللغة العربية ومكانتها وبروز الأدب العربي الشادي، ثم خلاصة تشتمل على نتائج وتوصيات. الكلمات الأساسية: الثقافة، مكانة اللغة العربية، بروز الأدب العربي، دولة تشاد.

Abstract: The importance of the research lies in achieving two basic purposes. The first is the status of the Arabic language and Islamic culture in the region. The second revolves around the emergence of Chadian Arabic literature and its impact on spreading Arab-Islamic culture represented by the presence of Islamic kingdoms in Chad. The paper aims to show the role played by Chadian writers and traditional scholars who made a great effort in spreading Arab and Islamic culture through the poems they composed and educational poems that are a starting point for spreading science around the Lake Chad Basin region. The researcher followed the descriptive analytical approach in his study of this topic, and finally the study focused on: It addresses the following main topics: the Islamic cultural situation and its manifestations, the Arabic language and its status, and the emergence of Shadi Arabic literature, then a summary that includes findings and recommendations.

Keywords: Culture, Status of Arabic Language, Emergence of Arabic Literature, State of Chad

أ - المقدمة

يعد الشعر العربي من أدقّ الفنون الأدبية وأكثرها ذوقاً وتأثيراً، والأدب العربي التشادي نوع من أنواع الشعر العربي الذي ساد في العصر العباسي، وهو ذلك العصر الذي انتشر فيه العلم والعلوم بل هو العصر الذهبي ومَهْل كل الفنون، فالأدب العربي التشادي لم يتوقف أو ينقطع على الرُّغم من تغيّر الأوضاع السياسية وتبدُّل الأحوال الاجتماعية والاقتصادية وتباين الأجواء الثقافية والفكرية إلا في مرحلة الركود، ولأنّ الأدب العربي: صورة من صور الأمم على القرون الماضية الحافلة بكثير من الأحداث والأحوال الأدبية الحديثة في تاريخ الوطن العربي، والباحث عن تراث تلك الأمم والشعوب يجد أثرها البارز للنهضة الأدبية التشادية الحديثة،

ويجد إسهامات الكتّاب والشعراء الشاديين في تلك الفترة، هي خير دليل على ذلك. لأن الأدب العربي التشادي أدب أمة مسلمة عاشت وسط إفريقيا ردحا من الزمن وتأثرت بما تأثر به المسلمون من روح إسلامية ومعاني قرآنية وتحلت بأخلاقيات عالية، وهذه الصفات أنتجت أدبا عربيا جديرا بالاهتمام والدراسة نلتمس وجوده من خلال هذه الدراسة والأبحاث التي تصدر من حين لآخر سوف تكشف لنا وجود أدب عربي تشادي ذو ثقافة إسلامية، كما أنه ليس وليد الحداثة، بل أثبتت الدراسات التاريخية عن مدى الرقي الذي وصل إليه الأدب التشادي في القرن السادس الهجري والثاني عشر الميلادي في المنطقة كالنماذج الشعرية التي وصلتنا من أول شاعر إفريقي تشادي، كإبراهيم الكانني، وبذلك نستطيع القول: بأن اللغة العربية قد بلغت قدرا من الرسوخ في اوساط في اوساط هذا الشعب المسلم منذ ذلك القرن. ولأنه أدب يعبر عن الهوية الحضارية والثقافة للشعب التشادي، تلك الهوية التي اقترنت بحياته على امتداد أربعة عشر قرنا من الزمان، وأن اللغة العربية هي الأداة الوحيدة المعبرة عن هذه الهوية، الامر الذي يجعل أي ثقافة أو لغة غيرها تتسلل إلى هذه البلاد هي

ثقافة مستوردة ولغة وافدة، ثم إن دراسة كهذه كفيلة بنشر النتائج الادبي الذي يبرز مقومات الهوية الحضارية لهذه البلاد، ولهذا الشعب تلك الهوية المتمثلة في الدين الإسلامي. وذلك عبر العودة إلى الجذور العريقة لهذه الامة، لقد اهتم أسلافها بالعلم والعلماء ودعموا عملية التعليم فشيّدوا المعاهد الدينية والخلوي القرآنية وارتكزوا على هذه المقومات كوسيلة لمقاومة الاستعمار ، لا سيما الجانب الثقافي منه. وأنه أدب اكتشاف الذات أمر في غاية الاهمية بحيث أن الشاعر في هذه الحالة يستطيع أن يبرز شخصيته في أعماله الأدبية بتحديد اتجاهه الفني والفكري والوجداني تاركا النظم السطحي للقصائد التي لا تعبر عن أي اتجاه فني أو فكري أو وجداني، لأن أدب الذات هو الذي ينبع من وجدان صاحبه ليسجل آماله وآلامه ويعي حقيقة تاريخه مستعينا بماضيه مستشرفا لمستقبله، وهذا حسب الله مهدي فضله في وقفة على آثار وارا وهو يقول:

غضوا العيون فهذا موطن الأدب # هذا الجلال الذي لم يطو بالحقب

هذا الشموخ الذي لم يحن هامته # عصف الاعاصير في خصب وفي جذب

وفمها يقول أيضا: بني تشاد خفضتم قدر من صنعوا # تاريخكم فغدا في أرفع الرتب

ما قيمة العاقل الواعي بلا أثر # به يخلد ذكر الأصل للعقب

عرقتم قيمة الآثار إذا بعدت # وأهملت إذا بدت منكم على كذب

ما نجتني من تراث الغير إن بقيت # آثارنا كحطام في الخلا الرحب

إن لم نصنها طوى النسيان صفحتها # بفيلقين مثل الغيث والنهب

فالسيل يضرب في تصميم منتقم # جدرانها جارفا ما هد في دأب

والزائرون إذ الاعجاب غالمهم # مدى الأيادي للآثار للسلب

فاحملوا حماها وصونوا عهد مملكة # مدت عليكم راق العلم والأدب.

ومن أسبابه دراسة الادب التشادي وإبرازه للعلم وإثبات ان هناك شعراء وأدباء وكتاب ومفكرين تشاديين لهم نتاج ادبي باللغة العربية يمكن الوقوف عليه، كما أن العلماء بدورهم التعليمي والتوجيهي والإرشادي في ترسيخ الثقافة بينهم، وللبداوة دور في تكوين مثل هؤلاء الرواد، فظهر منهم شعراء الفصحى والشعبيون، وما زالت المنطقة قابلة للبحث عن هؤلاء الرواد، والدافع الآخر: هو أنه أدب بكر وأرض خصبة لم يدرس من قبل إلا في السنوات القليلة الماضية وان أبحاثه لم تكتمل بعد، ولعل هذه الدراسة وإن كانت جزئية ستحول كشف خفايا هذا الأدب ومزياه التي تجعله أدبا عالميا يستحق الذكر لأنه سيسهم في إثراء الدراسات الادبية، وإثبات وجوده كأدب عربي تشادي في مواجهة تنامي الثقافة المستوردة لهذه البلاد، كما ان الشواهد الأدبية التي بين أيدينا من النصوص الشعرية والنثرية تفرض الواقع وتحدد الإطار الثقافي لهذه الأمة.

ب- منهج البحث

تعتمد الدراسة الحالية بطريقة المكتبات والوثائق عبر منهج وصفي تحليلي بهذه الطريقة، وهو أنه يتم دراسة المصادر المتعلقة بدراسة الأدب التشادي مبتدئا بتحديد المنطقة في بادئ الأمر، ثم تناولت في مواصلة الدراسة مع هذا الاتجاه بالعرض والتحليل والتقصي والتدقيق للعناوين لها صلة كقضية مكانة اللغة العربية وبروز الادب العربي في تشاد، ثم تبين أن جذورها يرجع إلى نهاية القرن السادس الميلادي بظهور الشاعر الكانجي والداعية الاسلامية عقبة بن نافع، ومما لا شك فيه أن سكان بحيرة تشاد لهم مواصلات قديمة وثقافات عربية مشتركة مع العرب منذ وقت مبكر شهدته وعززته الشواهد التاريخية واللغوية والأثرية والواقع الذي يعيشه سكان دولة تشاد حاليا.

د- نتائج البحث

أولاً: الاسم والموقع الجغرافي

دولة تشاد إحدى الدول الإفريقية التي تقع في وسط قلب القارة الإفريقية، وهي بلد ساحلي، وتعد واحدة من أكبر الدول الإفريقية مساحةً، أي تأتي علي الترتيب الخامس من حيث الترتيب المساحي، وينسب اسم تشاد لبحيرة تشاد التي سميت عليها، ويغذي هذه البحيرة نهر شاري ولوغون^١ أو أن أصل التسمية يرجع إلي نوعٍ من أنواع الأسماك التي كانت تعرف ب: تشاد ويكثر وجودها في البحيرة، ولذلك نجد اسم تشاد في بعض المصادر يكتب: شاد بدون تاء، وبالفرنسية يضاف حرف التاء فتكتب تشاد.^٢

وحول أصل هذه التسمية هناك أقوال متباينة وآراء متعارضة ومتقاربة تحاول تفسير مدلول كلمة تشاد أو شاد، رجَّع البعض كلمة تشاد إلي الجماعات التي سكنت البحيرة، وقيل هي: أي أن هذه الجماعات عناصر متباينة استقرت وامتزجت بعضها إلي أن نَتَجَّ منها عناصرٌ مُخْتَلِفَةٌ ثم اتَّخَذت لها من البحيرة: مُسَمِّيٌّ وموطناً، وحجتهم في ذلك وجود الثقافات القديمة؛ كالأواني والأسلحة والفخار وغيرها. ونجد أن التَّسْمِيَةَ أُخِذت من نوع من السمك الغني بالمواد الغذائية المعروفة باسم شاد، وهو الأكثر توافراً في البحيرة التي أُطلق عليها اسم شاد لسبب أنها تفيض في موسم الخريف بمياه الأمطار الغزيرة التي تنحدر إليها أو تنصبُّ فيها من الأنهار المتصلة بها، كنهري شاري ولوغون ونهر السلامة وبحيرة فتري؛ فيفيض ماء البحيرة ويملاً جوانبها فيقال حينذاك: شَتَّ ماء البحيرة؛ إذا فاض، فسُميت

١. محمد خميس الزوكة: جغرافية العالم الاسلامي، دار المعارف الجامعية، القاهرة، ط١، ١٩٩٦م، ص٤٥٨.

٢. عبد الله بخيت صالح: جغرافية تشاد، بورصة الكتب، الاسكندرية، ط١، ٢٠١٢م، ص: ١٦.

المنطقة بتشاد فيما بعد، كما أن شاد هو اللفظ المستعمل أكثر عند الشعب بدلاً من إسم: تشاد الذي اعتاد عليه البعض أثناء كتابتهم بالفرنسية.^٣

ثانياً : الحالة الثقافية لدولة تشاد

تتنوع الحالة الثقافية لدولة تشاد من قُطر إلى قُطر حسب الحالات العرقيّة والتقاليد الشعبية لكل مجتمع من المجتمعات التشادية، وتَنقسم تشاد إلى مناطق متعددة الأشكال، صحراوية في الشمال، حزام منطقة الساحل في الوسط، ومنطقة السافانا السودانية الأكثر خصوبة في الجنوب، وتعتبر بحيرة تشاد؛ التي يطلق عليها اسم تشاد، وهي ذات أراضي رطبة، وثاني أكبر منطقة رطبة في إفريقيا، وتعد العاصمة أنجمينا أكبر مدينة في تشاد، وتتصف الحياة الثقافية في تشاد بالتنوع الثقافي الشعبي المتعدد الثقافات والحضارات.

نتيجة تنوع السكان وكثرة المجموعات والموروثات الثقافية في الفنون والآداب (المرويات) إضافة للرقص والغناء والرسم في العمران والعادات والتقاليد، وقد شجّعت الدولة النشاطات الثقافية ودَعَمَتْ مؤسساتها، كما أنها اهتمت بالمتحف الوطني لما قبل التاريخ، واهتمت بتشجيع السياحة الثقافية إلى مواقع حضارية في البلاد، ويعمل المركز الثقافي التشادي علي إحياء التقاليد والعادات الوطنية، لكن هذا كله مرتبط بتوافر الإمكانيات المادية والفكرية والمعنوية،^٤ وفي سنة ٢٠٠٩ م صارت العاصمة التشادية أنجمينا إلي عاصمة الثقافة الإسلامية عن المنطقة الإفريقية.

وفي نفس السنة أطلقت جمهورية تشاد أول قناة فضائية لتدخل عالم البث الفضائي لأول مرة في تاريخها، قناة "تلفزيون أو تيلي تشاد" والتي تعتبر القناة الوحيدة الرسمية في تشاد.^٥ ويعود تاريخ

^٣ أحمد شلي، موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية، مكتبة النهضة المصرية، ج٦، ط١٢، ١٩٨٧م، ص٥٧.

^٤ الموسوعة العربية، الثقافة العربية، وزارة المعارف، الرياض، ج٢، ط:دن، ٢٠٠٩، ص١٠٤.

^٥ عطية جواد، تاريخ تشاد الثقافي، ٢٠١٩م، ١ مايو، استرجعت بتاريخ ١٣ مارس ٢٠٢٢م، الساعة السادسة صباحاً. من موقع منتديات : ستاير تايمز

كوم، ص٤.

تشاد الثقافي علي الآثار للاستيطان البشري الذي يعود إلي القرن السابع قبل الميلاد، وشهدت تلك المنطقة زيادة مضطردة في عدد السكان، ويعدّها العديد أحد أهم المواقع الأثرية في إفريقيا، وأغلبها في إقليم بوركو إنيدي تبستي، ويؤرخ البعض وجودها إلي ما قبل ٢٠٠٠ عام قبل الميلاد، كما أنها تعد من أهم المناطق الإسلامية في إفريقيا، حيث أن موقعها الاستراتيجي بين الدول العربية الإفريقية قد جعلها ملتقى لكثير من الحضارات الإسلامية والإفريقية بصفة عامة.^٦

ولقد دخل الإسلام إلي تشاد عن طريق التجار التبو، وشرقاً عن طريق من الوادي وأهل السودان خلال القرن الثالث عشر الميلادي، والدعاة جعلوها نقطة الانطلاق لكثير من القوافل لنشر الدعوة الإسلامية، وساعد انتشار التعليم في المناطق الهامة للمراكز الإسلامية الثقافية لدول تشاد مثل: مملكة كانم في منتصف القرن الثامن الميلادي والتي عرّفت بانتسابها إلي الأسرة العربية السيفية (سيف بن يزان اليميني) إذ أن منبع الثقافة العربية والحضارات الإسلامية لتشاد بدأ ينبوعها من تلك الممالك الثلاث المشهورة، وهناك صلة وثيقة بينهم وبين سكان الجزيرة العربية.^٧ ثم بدأ التواصل الثقافي الإفريقي منذ وصول أنوار الدين الإسلامي إلي شمال إفريقيا علي يد عَقْبَة بن نافع رضي الله عنه ومن معه من الدعاة في منتصف القرن الأول الهجري، فقد وصل العرب عبْر الصَّحراء منطقة فزان وكوار على بعد ٦٠ كيلومترا من بحيرة تشاد، إقليم تابع لعاصمة بلما، وساهمت هذه الحملة في تنامي الصلات الاجتماعية والتجارية والثقافية شمال إفريقيا أوحى العالم الإسلامي، ومنطقة السودان الأوسط هي: (تشاد) وأدت إلي تكثيف الهجرات التي كانت تقوم بها القبائل العربية إلي حوض بحيرة تشاد.^٨ والقاسم المشترك بين هذه الممالك أن كلها قد ثبتت علي الإسلام ديناً واتخذت من اللغة العربية لغةً رسميةً لها.

^٦ عطية جواد، تاريخ تشاد الثقافي، مرجع سبق ذكره، ص ٥

^٧ عبد الرحمان عمر الماحي، تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال (١٨٩٤ - ١٩٦٠ م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط ١، ١٩٨٢ م، ص ٤٦

^٨ عبد الرحمان عمر الماحي، نفس المرجع، ص ٤٨

من هنا وجدت اللغة العربية العناية الكبيرة من قبل أهالي تشاد بانتشار الإسلام فيها لأنها لسانه الناطق، بل اكتسبت قُدسية عالية في قلوب الناس حتى عمت الأراضي التشادية كلها، وبها انتظمت حياة المجتمع الذي كان يسوده الجهل؛ ثم بدأت حركة علمية حقيقية أدت إلى انتشار العلوم والفنون والمعارف التي تَعَبَّر عن ازدهار حياة المجتمع التشادي، وبذلك أصبحت لغة القراءان هي اللغة الرسمية والشعبية لأهالي تشاد.^٩ وبهذا تأصلت جذور الثقافة العربية في تشاد منذ التاريخ القديم قبل ظهور الإسلام نتيجة للهجرات العربية المتكررة في تلك المنطقة.^{١٠}

ثالثاً: مظاهر الثقافة الإسلامية في تشاد

لقد استعمل العرب مادة ثقف لمعانٍ متعددة، يُرَجَّع بعضها إلى أمور معنوية وأخرى حسية، ولكل أمة ثقافتها الخاصة، ولكن الأمة الإسلامية تنفرد وتتميز بثقافتها الخاصة في تحديدها وعناصرها وخصائصها، ثم إن تعريف الثقافة الإسلامية متعدد نتيجة لجديّة المصطلح وحدائته واختلاف تصورات العلماء المعاصرين حوله، ويقصد الباحث بالثقافة الإسلامية التشادية في هذه الدراسة: هي معرفة مقومات الأمة الإسلامية العامة بتفاعلاتها في الماضي والحاضر من دين ولغة وتاريخ وحضارة وقيَم وأهداف مشتركة واعية وهادفة، لقد شهدت منطقة حوض بحيرة تشاد هجرات عديدة على فترات متوالية منذ زمن بعيد، وكانت هذه الهجرات من أصول شتى وأجناس مختلفة، فمنها: الحامي والسامي والزنجي وغيرها من القبائل؛ فتزاوجت فيما بينها واختلط بعضها ببعض فنتج عنها عدة ثقافات متنوعة،^{١١}

^٩ إبراهيم كامسلم، مع لغة القراءان الكريم، (٢٠١٤م، الثلاثاء ٤ فبراير) صحيفة الأيام، (١٧٨)، ص ٦.

^{١٠} إبراهيم صالح الحسيني، تاريخ الإسلام وحياة العرب في امبراطورية كانم-برنو مكتبة القاضي شريف، كانوا نجيريا، ١٩٧٦م، ص ١٧-١٨.

^{١١} موسى يوسف، (٢٠١٣م، ٢٨ نوفمبر). جمهورية تشاد. الحاضر والمستقبل. بتاريخ ٢٨ يوليو ٢٠٢٢م، الساعة الرابعة عشر ظهراً. من موقع الألوكة، ص ٨٧.

بينما الحديث عن الثقافة في تشاد يعني الحديث عن جذورها التاريخية القديمة ومدى أصالة هذه الثقافة في هذه المنطقة، وتتجلى أهمية الثقافة التشادية بالنظر الى أهدافها وآثارها في النقاط التالية: ١. تقديم التصور الصحيح الكامل والشامل للحياة الإنسان والكون من خلال تحديد علاقته بربه ونفسه والأخرين. ٢. إمداد الدارس بحصيلة مناسبة من المعارف الصالحة لكل زمان ومكان. ٣. وتنمية روح الولاء للنهج القويم على ما سواه من صور الانتماءات للأخرين. ٤. إبراز النظرة الشمولية للإسلام باعتباره كلا مترابطا متكاملًا، وتحصين الدارس من الغزو الفكري بأساليبه ووسائله المختلفة. ٥. ترجمة الأخلاق والتعاليم إلى عملي وسلوكي ملموس.^{١٢} ونجد إن قيام الممالك الثلاث في المنطقة وتبنيها الدين الاسلامي ونشر ثقافته ودعوة الناس إليه منذ وقت مبكر ساعد في نشر الثقافة بشكل واسع في جميع أرجاء البلاد، ما عدا الجنوب الوثني، إلا أن هناك تنافسا شديدا في الوقت الحاضر بين الثقافة الاسلامية المتأصلة والثقافة الفرنسية الداخلة على البلاد المتمثلة في المحاولات العديدة للغزو الثقافي الغربي الفرنسي بشتى الوسائل، ومع ذلك كله استطاعت الثقافة الاسلامية أن تحافظ على كيانها ومقوماتها وعلى انتشارها الواسع في ثنايا اللغة الوحيدة التي تعتبر لغة التخاطب والتفاهم بين القبائل التشادية المختلفة الأجناس والأعراف سواء كان ذلك أوساط المتعلمين أم غيرهم على حد سواء.^{١٣}

ومن مظاهر الثقافة الاسلامية التشادية تتلخص فيما يلي: ١/ وجود الممالك التي قامت علي أراضي حوض بحيرة تشاد. ٢/ تطبيق الشريعة الإسلامية في البلاد. ٣/ تنظيم الإدارة علي نهج الكتاب والسنة. ٤/ بعد ما اتسعت الدولة الإسلامية وعظّم عمرانها وازدياد قاطنيتها احتاج الأمر إلي تسخير النظم في إطار هذا التوسع والتطور قامت بوضع أسس ونظم لمسايرة الإدارة، فقد دُونت الدواوين وُبُنيت الأمصار وعُيّن الولاة والقضاة بعد استشارة كوادر من العلماء وغيرهم ممن لهم خبرة بحسن

^{١٢} موسى يوسف، المرجع السابق، ص:٤.

^{١٣} موسى يوسف نفس المرجع ، ص٤

إدارة الدولة وتدبير أمورها وإصلاح شؤونها. ٥/ نشر الإسلام والجهاد في سبيله مع العناية بالتعليم بعد أن كانت اللغة العربية في الممالك وحتى بلاد السودان الأوسط لغة المنطقة.^{١٤} وقد كانت اللغة العربية لها دور في نشر الثقافة الإسلامية في أوساط مجتمعات تشاد، فهي اللغة الوحيدة آن ذاك قبل مجيء المستعمر لاستقلال البلاد وهي لغة القرآن والسنة، أي لغة فن وآداب وسهلة التلقي وغنية بمفردات وكانت وسيلة لفهم الشريعة الإسلامية فاهتم الشعب بها وتعليمها.^{١٥}

رابعا : دخول اللغة العربية ومكانتها في تشاد

تعتبر اللغة العربية هي اللغة الأولى المتداولة بين المواطنين في تشاد منذ دخول الإسلام عن طريق القوافل التجارية في شمال البلاد، فهي لغة التخاطب والتفاهم في الأسواق ومحلات التجارة ولغة الرسائل بين الملوك، بل هي لغة العبادة والعلم في المساجد والخلوي ومنازل العلماء والسلطين.^{١٦} ولمعرفة مكانة اللغة في المجتمع التشادي يتطلّب الوقوف علي معطيات معينة كالمقاييس التي من خلالها يمكن القول: إن هذه اللغة لها مكانة في المجتمع التشادي لوجودها في المؤسسات التعليمية والدراسات والمواثيق والمراسيم وهي لغة ثقافية واجتماعية واقتصادية وسياسية بطبيعة الحال، وقد انتشرت في تشاد بشكل تلقائي، وللممالك الإسلامية دور كبير في نشرها بين أوساط المجتمع، فقد قاموا بتعاليم اللغة العربية ومبادئ الدين الإسلامي لا بنائهم باعتبارها مصدر ثقافتهم ولغة أجدادهم وكتبتهم ومصدر تشريعاتهم.^{١٧}

قد تَبَنَّتْ الأقطار الإفريقية التي دخلها الإسلام: اللغة العربية، فأصبحت في الكثير منها اللغة الرسمية؛ فكانت لغة الإدارة والعلوم ولغة الدواوين والثقافة إلي أن بسط الاستعمار نفوذه عل هذه

^{١٤} محمد نور، الاستعمار الفرنسي وأثره على الشخصية الإسلامية في تشاد، ط: دن، ص ٥٧

^{١٥} محمد نور، المرجع السابق، ص ٥٢، ٥٣

^{١٦} محمد زين، تاريخ التعليم العربي في تشاد في القرن العشرين الميلادي ونتائجه الحضارية. رسالة الماجستير، جامعة الملك فيصل بتشاد: ٢٠٠٤م، بكلية الشارقة للتربية قسم الدراسات العليا. شعبة التاريخ والحضارة، ص ٣٤

^{١٧} موسى يوسف، جمهورية تشاد الحاضر والمستقبل، مرجع سبق ذكره، ص ٦

الدول وحاصر اللغة العربية وحارب خطها بمختلف الوسائل، ودولة تشاد تعد واحدة من الأقطار التي وقف الاستعمار ضدها لمحاربة نشر اللغة العربية وكل ما يكون في صالحها.^{١٨} والحديث عن مكانة اللغة العربية في المجتمع التشادي يُنظر إليه من عدة زوايا مختلفة، كما أن الدخول في الحضارة الإنسانية له شروط، واللغة العربية شرط أساسي في تلك العملية، فالدارس حول التاريخ الأدبي العربي لدولة تشاد يجد أن الممالك التي أُسِّست في هذه الأراضي كانت لغتها: اللغة العربية، ومملكة كانم التي تأسست عام ٨٠٠ للميلادي تعاملت باللغة العربية لمكانتها عندها، وذلك لعدة دوافع.

ولدراسة حول مكانة اللغة العربية ذكر الكاتب عطية في مقال له، ثلاثة دوافع، منها: "الدافع الأول: مؤسسي هذه الممالك كانوا من العرب وهذا ما دفعهم لأن يجعلوا من العربية لغة الدواوين ولغة المعاملة والمخاطبة. الدافع الثاني: بعد اعتناق هؤلاء الإسلام، وبما أن القرآن نزل بهذه اللغة هو آخر كتاب جاء لكي يجمع الناس في حضارة واحدة ومُخَصَّصة لكل التجربة البشرية، وأن الله اختار هذه اللغة لهذا الكتاب، عندها احتلت اللغة العربية مكانة مقدسة في هذه المنطقة. الدافع الثالث: أنهم وجدوا أن اللغة العربية قواعدها الإملائية والصرفية والنحوية والبلاغية والإعجازية والأدبية ثابتة علي قواعد وأسس متينة بعكس ما كان موجودا في بقية اللغات الأخرى.^{١٩} من هنا تبرز أهمية اللغة من بين لغات العالم.

ولذلك فإن هؤلاء الملوك أدركوا بفطرتهم ويقظتهم مكانة هذه اللغة،^{٢٠} ومع ذلك فقد ظلت الغالبية العظمى من أبناء الشعب التشادي متمسكة بهويتها العربية الإسلامية؛ وبناءً على هذا المبدأ ظلت العربية لغة التخاطب والتواصل بين مُعظَم فئات المجتمع، والدارسين بالعربية من ورائهم الجماهير لم يستسلموا لهذا الواقع، فظلوا يُنَافِحُونَ ويعملون من أجل نشر اللغة العربية وإعادة

^{٢٨} عبد العزيز، الكلوت، التنصير والاستعمار في إفريقيا السوداء، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط٢، ٢٠٠١م، ص ٧٢

^{١٩} جويد عطية، ٢٠٠٧م، ١ مايو). الثقافة العربية في تشاد. استرجعت بتاريخ ١٣ مارس ٢٠٢٢م، الساعة السابعة صباحاً. من موقع منتديات : ستاير

تايمز كوم، ص ٧٠

^{٢٠} عبد الرحمان عمر الماحي، المجتمع التشادي في عهد الاستقلال، ١٨٨٤-١٩٦٠م، الجريسي للكومبيوتر والطباعة، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م، ص ٦٥

الاعتبار لها بشتى الوسائل المتأاحة إلى أن تكَلَّلتْ هذه الجهود بصدور الدستور الحالي للجمهورية عام: ١٩٩٦م الذي ينص في مادته التاسعة على أن اللغتين الرسميتين للدولة هما: الفرنسية والعربية.^{٢١} وقد توقفت الخطوات الرسمية لجعل اللغة العربية رسمية على مستوى الدولة حتى عام ١٩٨٢م، حيث تم تحريك القضية من جديد، ووَرَدَ الميثاق الوطني يُنصُّ بأن العربية متساوية للفرنسية، وتم افتتاح قسم اللغة العربية بمعهد المعلمين العالي ١٩٨٦م، وقسم اللغة العربية بكلية الآداب والعلوم الانسانية بجامعة تشاد ١٩٨٧م، وبعد شهر أصدرت الحكومة قرار رئاسي بتاريخ ٦ مايو ١٩٨٧م اعترفت فيه رسميا لأول مرة في تاريخ البلاد بالشهادة الثانوية العربية التشادية، وفي عام ١٩٩٥م أقر المؤتمر الوطني بتدريس اللغة العربية في جميع المدارس الحكومية بمرسوم رئيس الجمهورية رقم ٢٠٢ بصورة إجبارية.^{٢٢}

ولا شك ان جذور اللغة العربية ومكانتها يعود إلى فترة زمنية طويلة المدى تعززت فيها جذورها ومضمونها بَعْدًا ثقافيا جديدا بعد ظهور الاسلام، فشكل الاسلام إدارة لغوية قوية لنشر اللغة في المجتمع الشادي خاصة والافريقي عامة، وبالإسلام واللغة وجدت الممالك حضارة عريقة وحتى الآن ما زالت تلك التعاليم الحضارية متمثلة في القطاع التعليمي والنوادي الثقافية والأدبية والأعراف التقليدية لدى الشعب التشادي.

خامسا: بروز الادب العربي التشادي:

بالإشارة إلى بروز الادب العربي التشادي يَجْرُنَا الحديث إلى إلقاء الضوء على بدايات الادب العربي بوجه عام وتحديد العصور التاريخية الادبية، والادب التشادي كغيره من الآداب التي سجلت لنا حياة أممها وتراثها عقب الأزمات التي مرت بها البلاد، والأدب التشادي: ظاهرة اجتماعية تتأثر بغيرها

^{٢١}عبدالله مهدي فضله وآخرون، ص٦٤.

^{٢٢} عبد الله بخيت صالح، تاريخ التعليم العربي النظامي في تشاد، بورصة الكتب، الاسكندرية، ط١، ٢٠١٢م، ص٣٣.

من الظواهر الأخرى، مثلاً: كالحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وكذا النشاط الفكري والحضاري لها والبيئة الطبيعية التي ينشأ فيها، ويعكس على صفحاتها صورة واضحة المعالم لحياتها المتعددة الجوانب وتكشف عن جدها وهولها وسعادة أبنائها متطلعا إلى عواطفهم وانفعالاتهم وأحلامهم وتشاؤمهم وتفاؤلهم وتطلعهم إلى المستقبل.

ويختلف الادب العربي من عصر إلى عصر مُسَجِّلا مظاهر التطور والاحداث التي تمر بها أي أمة من الأمم، ولهذا السبب أو غيره قُسم الادب العربي إلى عصور ، ويمكن أن يُؤرخ لبداية ظهور الأدب العربي التشادي في مرحلته الأولى عندما بظهور الشاعر إبراهيم الكانبي في أواخر القرن السادس الهجري والثاني عشر الميلادي بنماذج شعرية ناضجة ومتكاملة سجلتها المصادر العربية المغربية والأندلسية، واتصل هناك بأمير المؤمنين المنصور يعقوب وأنشده بأبيات شعرية يقول فيها: أزل حجاب عني وعيني * تراه من المهابة في حجاب

وقربني تفضله ولكن * بعدت مهابة عند اقتراب.^{٢٣}

مع ذلك "لا يمكن أن تكون هذه بدايات قصائده لتُضجِّها وكمالها، بل لا بد هناك محاولات قد تكون أضعف منها في المستوى الفني مع أن المصادر التي ذُكرت الكانبي لم تتحدث عن بدايات شِعْره ولا الشعراء الذين عاصروه، فإن نشأة الأدب العربي التشادي تَظَلُّ مجهولة في هذه المنطقة لسبب ضَعْف الرواية وندرة التدوين مما أدى إلى ضياع الكثير من نماذجه.^{٢٤}

بدءاً من هذه النقطة أرخ الأدياء التشاديون لبداية بروز الأدب التشادي بأواخر القرن السادس الهجري أثناء نهاية حكم دولة العباسيين بدخول التتار بغداد، وليس مستبعدا بان يكون هناك قصائد أُخرى لهذا الشاعر الذي صور لنا أبياته الرائعة في بعض قصائده التي وصلتنا، ومن

^{٢٣} حامد هارون محمد، محاضرات من الادب التشادي للسنة الرابعة، ٢٠٢١م، بجامعة الملك فيصل، كلية الآداب والاعلام والفنون: قسم اللغة العربية،

ص ٤.

^{٢٤} حامد هارون محمد، نفس المرجع، ص ١٩.

خلالها تستنتج الدراسة: بأن له الكثير من القصائد الضائعة، ومن المُحْتَمَل أن يكون هناك شعراء قبّل الكانبي أو في زمنه. علما بأن دخول العرب الأشراف من أهل البيت أثناء الحكم الأموي هربا من بطش بني أمية على الأسرة العلوية، حينها دخل مجموعة من العرب إلى بحيرة تشاد عبر جنوب الصحراء، وهذه الهجرات والتدخلات العريقة بين الشعبين توحى بأن الشعر العربي التشادي موجود قبل القرن الثاني عشر الميلادي، لكن للأسف الشديد لم نجد آثاره إلا في نهاية القرن السادس الهجري.^{٢٥} نجد أن عصور الأدب التاريخية يتداخل بعضها إلى بعض، وكما أَرَّحَ عبد الله حمد لله في درسته للأدب التشادي بستة مراحل: البداية المنفصلة، والبداية المتصلة، ومرحلة اليقظ والازدهار، ومرحلة الركود والانحطاط، ومرحلة اليقظة الثانية، والمرحلة المعاصرة، ثم إن البداية المتصلة يمثلها شاعر واحد فقط (إبراهيم الكانبي) بينما المرحلة المتصلة كثر فيها الشعراء التشاديون والدواوين وشهد الأدب التشادي خلال هذه المراحل تطورا وخُمُولاً كما هو الحال لدى الآداب الأخرى.^{٢٦} وتم تقسيم مراحل الأدب التشادي إلى التالي: مرحلة النشأ الأولى، ومرحلة اليقظة الأولى، ومرحلة الركود والانحطاط، ومرحلة اليقظة الثانية؛ فقط ظهر الشاعر إبراهيم الكانبي داخل بلاد المغرب والاندلس واشتهر وأصبح من أشهر الشعراء في تلك البلاد، وقد مَكَّنَتْهُ هَجْرَتُهُ من أن يجد مكانته العلمية في ملفات المؤرخين والأدباء العرب، واختلف المؤرخون في تسمية الداه وأصلهما إلى أقوالٍ: لكنَّ الحقيقة أنه ينتسب إلى زكوان بطن من بني سليم. وذلك في قوله:

إني وإن البستي العجم حلتها * فقد نماني إلى ذكوانها مضر

فلا يسوك من الأغمام حالكها * إن كان باطنها الصمام الذكر

وكانه في هذين البيتين يشير إلى نَسَبِهِ الأَصْلِي مع افتخاره بلون سواده إضافة لأبياته في الغزل يدافع فيها عن لونه قائلا .

^{٢٥} حامد هارون محمد، مرجع سبق ذكره، ص ١٩

^{٢٦} حامد هارون محمد، نفس للمرجع الذي سبق ذكره، ص ١٢، ١٣.

غيري عليكن يا زهراء يصطبر * لأن صبري على ذاك الهوى صبر
لوني بلونك مزدان إذا اجتمعا * كما يزين سواد المغلة الجو
وان شككت فقيسي قيسَ تجرّبة * ففي اختيارك ما ينسى به الخبر
وقال أيضا في الوعظ والارشاد: أفي الموت شك يا أخي وهو برهان * ففيم هُجوع الخلق يقظان
أتسلو سلو الطير تلقط حيا * وفي الأرض أشراك وفي الجو عقبان.^{٢٧}

هذا يشير إلى مكانة الكانبي الأدبية وحصيلته العلمية وأشعاره القوية وأساليبه البلاغية ولغته المتينة والفصيحة لجودته الشعرية، فعلاً هو أول من برز من رواد النشأة الأولى للأدب التشادي، ولم تترك لنا الاحداث التاريخية نتائجه إلا القليل الذي بين أيدي الكتاب والأدباء، ولا ندري لعل الأيام تأتي لنا بما تبقى من أشعاره أو من عايشه من الشعراء التشاديين أو من نهج منهجه في الشعر، فانفرد الكانبي بتلك الفترة الزمنية للأدب التشادي، إذ أن بينه وبين المرحلة التي بعده قرابة خمسة قرون.^{٢٨} ونتج عن هذا التطور كثرة ابداعاتهم مع اختصارهم العلوم في شتى الفنون، وهو ما سُمّي بالتنظيمات: أي المنظومات التعليمية وهو الشعر التعليمي فنظموا كل العلوم في شكل أشعار تعليمية.^{٢٩} وأما شعراء تشاد المعاصرة فهم جزء من العلم الاسلامي والافريقي، قد تعرضوا لمضايقات أكثر، حيث استهدف المستعمر ثقافتهم، فحاول سلبها باستئصالها من أساسها يوم ان قتل علماءهم في مذبحه رهيبه، استهدفت العلماء وهم حملة الثقافة للبلاد، وكان هدف المستعمر طمس هوية الشعب وإذلاله وتغيير هويته لابتعاده عن أصل ثقافته.

وقد ركزت الدراسة حول بروز الأدب العربي على الساحة التشادية ومكانة العربية العربية في تشاد، كما ان الباحث مهّد للدراسة بتطرقه لاسم دولة تشاد وموقعها الجغرافي والفلكي والثقافة

^{٢٧} حامد هارون محمد، الشعر العربي المعاصر في تشاد. رواده واتجاهاته، مطبعة الأوفست، القاهرة، ط١، ٢٠١٦، ص٢٤

^{٢٨} أحمد التريوي، تاريخ الآداب العام، المملكة العربية السعودية، وزارة المعارف. ط٢، ١٩٧٧م، ص٤٨.

^{٢٩} وزير محمد شكري، التغيرات الاجتماعية والثقافية وأثرها على النظام التعليمي بدولة تشاد . دراسة ميدانية. مجلة التربية للبحوث التربوية والاجتماعية والنفسية، ٢٠٠٠م، كلية التربية: جامعة الأزهر، ١٢ (٨٩) ٣٦ ٥٠.

العربية في تشاد، فقد اكتشفت الدراسة التي نحن بصددتها أن جذور تاريخ الأدب العربي حول حوض بحيرة تشاد يرجع لبداية ظهور الأدب العربي التشادي في مرحلته الأولى، بظهور الشاعر التشادي إبراهيم الكانمي في أواخر القرن السادس الهجري والثاني عشر الميلادي، بنماذج شعرية ناضجة ومتكاملة سجلتها المصادر العربية المغربية والأندلسية، واتصل هناك بأمر المؤمنين المنصور يعقوب وأنشده بأبيات شعرية سجلتها كتب الادب والتاريخ، وهذا ما يجرنا إلى القول بأن ظهور الأدب العربي في تشاد: لعله يرجع إلى تأصل اللغة العربية في تلك البلدة التي عُرفت بأن اللغة العربية: هي لغتهم الأولى التي ورثوها عن الأجداد.

وقد كانت اللغة في تلك المنطقة: هي لغة التخاطب والمناسبات والمراسلات والحضارة والثقافة والتبادل التجاري ولغة الشارع لدى الجميع، مستدلين بذلك تاريخيا بوصول الصحابي الجليل عقبة بن نافع إلى تلك المنطقة، لكن المستعمر قد حاول كل المحاولات من أجل منع ومحاربة بروز الثقافة واللغة العربية في تشاد، إلا أن التاريخ أثبت بأن تشاد بلد ذو نشأة عربية قديمة متأصلة، وبالتالي فإنها لغة كل التشاديين، وقد بذل الأدباء التشاديين دورا هاما في هذا المجال خاصة: حسب الله مهدي فضله، رئيس المجلس الاعلى للغة العربية في افريقيا (تشاد) وغيره من الشخصيات التشادية التي ما زالت تكافح وتناضل من أجل لغة الضاد لغة شعب تشاد.

هـ- الخلاصة

لقد ساعد على بروز الأدب العربي التشادي ومكانة اللغة العربية في تشاد عاملان رئيسان وهما: العامل الطبيعي الذي يتمثل في: التركيبة البيئية والاجتماعية والسياسية للمنطقة، والعامل الذي يتمثل في طبيعة اللغة وسلوك الشخصيات القادمة من الجزيرة العربية، وقد لعبا كلا من العاملان دورا هاما بارزا في نشر الثقافة الاسلامية في تشاد، وهذا أقل ما نعرضه حول بروز الادب العربي عامة وُصُولاً إلى عصر النهضة الادبية الحديثة التشادية ومكانة اللغة العربية في تشاد، وفيها أو ضحت

الدراسة بداية الادب التشادي الحديث، وما مروا به من أحداث وأزمات جسيمة متتالية، مثل ما مرت به جميع الاقطار الافريقية في تاريخها وغيرها من البلدان. ثم إن الأدب العربي التشادي نشأ في بيئة ثقافية ضاربة بجذورها في عمق التاريخ تتمثل في الممالك الثلاث، ثم إن بيئة كهذه من الطبيعي أن تنتج أدبا يستحق الدراسة والنقد رغم تعرضه للنسيان الثقافي والتغريب في الهوية، واللغة العربية في تشاد ليست لغة نثر فحسب بل هي لغة شعر أيضا يعبر بها الإنسان التشادي عن ذاته في حدود مفهوم الشعر في عصره كما أنها ليست إدارة وسياسة واقتصاد فحسب، بل هي لغة إبداع يستطيع الشاعر أن يعبر بها عن متطلباته الروحية والوجدانية، ومتطلبات مجتمعه المادية والعقلية.

قائمة المراجع

- محمد خميس الزوكة: جغرافية العالم الاسلامي، دار المعارف الجامعية، القاهرة، ط ١، ١٩٩٦ م.
- عبد الله بخيت صالح: جغرافية تشاد، بورصة الكتب، الاسكندرية، ط ١، ٢٠١٢ م.
- أحمد شلي، موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية، مكتبة النهضة المصرية، ج ٦، ط ١٢، ١٩٨٧ م.
- الموسوعة العربية، الثقافة العربية، وزارة المعارف، الرياض، ج ٢، ط: دن، ٢٠٠٩ م.
- عطية جواد، تاريخ تشاد الثقافي، ٢٠١٩ م، ١ مايو، استرجعت بتاريخ ١٣ مارس ٢٠٢٢ م، الساعة السادسة صباحا. من موقع منتديات : ستاير تايمز كوم.
- عبد الرحمان عمر الماحي، تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال (١٨٩٤ . ١٩٦٠ م) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط ١، ١٩٨٢ م.
- إبراهيم كامسلم، مع لغة القراءان الكريم، (٢٠١٤ م، الثلاثاء ٤ فبراير) صحيفة الأيام، (١٧٨).
- إبراهيم صالح الحسيني، تاريخ الإسلام وحياة العرب في امبراطورية كانم - برنو مكتبة القاضي شريف، كانوا نجيريا، ١٩٧٦ م.
- موسى يوسف، (٢٠١٣ م، ٢٨ نوفمبر). جمهورية تشاد . الحاضر والمستقبل. بتاريخ ٢٨ يوليو ٢٠٢٢ م، الساعة الرابعة عشر ظهرا. من موقع الألوكة.
- محمد نور، الاستعمار الفرنسي وأثره على الشخصية الاسلامية في تشاد، ط: دن.
- محمد زين،). تاريخ التعليم العربي في تشاد في القرن العشرين الميلادي ونتائجه الحضارية. رسالة الماجستير، جامعة اللك فيصل بتشاد: ٢٠٠٤ م، بكلية الشارقة للتربية قسم الدراسات العليا. شعبة التاريخ والحضارة.

٢٨ عبد العزيز، الكحلوت، التنصير والاستعمار في إفريقيا السوداء، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط٢، ٢٠٠١م.

جويد عطية، ٢٠٠٧م، ١ مايو). الثقافة العربية في تشاد. استرجعت بتاريخ ١٣ مارس ٢٠٢٢م، الساعة السابعة صباحاً. من موقع منتديات : ستاير تايمز كوم.

عبد الرحمان عمر الماحي، المجتمع التشادي في عهد الاستقلال، ١٨٨٤ . ١٩٦٠م ، الجريسي للكومبيوتر والطباعة، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م.

عبد الله بخيت صالح، تاريخ التعليم العربي النظامي في تشاد، بورصة الكتب، الاسكندرية، ط١، ٢٠١٢م.

حامد هارون محمد، محاضرات من الادب التشادي للسنة الرابعة، ٢٠٢١م، بجامعة الملك فيصل، كلية الآداب والاعلام والفنون: قسم اللغة العربية.

حامد هارون محمد، الشعر العربي المعاصر في تشاد. رواه واتجاهاته، مطبعة الأوفست، القاهرة، ط١، ٢٠١٦م.

أحمد التربوي، تاريخ الآداب العام، المملكة العربية السعودية ، وزارة المعارف. ط٢، ١٩٧٧م.

وزير محمد شكري، التغيرات الاجتماعية والثقافية وأثرها على النظام التعليمي بدولة تشاد . دراسة ميدانية. مجلة التربية للبحوث التربوية والاجتماعية والنفسية، ٢٠٠٠م، كلية التربية: جامعة الأزهر.